الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر -الوادي -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات

النص الأدبي العربي القديم

السنة الجامعية :1441هـ-1442هـ /2020م- 2021م

السداسي: الأول

المادة: النص الأدبي القديم (شعر)

محتوى المادة:

السداسي الأول: **وحدة التعليم الأساسية** **مادة**: **النص الأدبي القديم** (**شعر**) **المعامل**:03 **الرصيد**:05

1 الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا

2 المعلقات مضامينها وأساليبها (نصوص من معلقة زهير بن أبي سلمى ـ معلقة امرئ القيس ـ معلقة عنترة)

3 شعر الصعاليك (نصوص...لامية العرب للشنفرى)...

4 الشعر في صدر الإسلام شعر الفتوحات

5 المراثي النبوية

6 شعر النقائض

7 الشعر العذري والشعر العمري

8 شعر الزهد والتصوف (نصوص من المشرق والمغرب. أبو العتاهية . ابن الفارض....

9 شعر الحماسة : نصوص لأبي تمام / البحتري. ..... الزوزني. الشاطبي. الحماسة المغربية لأبي الحجاج يوسف البياسي.. الكوراني.....

10 الشعر السياسي في المشرق والمغرب (الفتوحات.الخوارج.الشيعة.السجون..رثاء المدن..

11 الشعر الفلسفي وشعر الحكمة

12 الموشحات والأزجال

13 الشعر الأندلسي. (نصوص من أشعار ابن زيدون.....)

14 نصوص من الشعر الجزائري القديم. بكر بن حماد التيهرتي...

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله الكريم.

أضع بين أيدي طلبتي الأعزاء هذا الكتاب .لا أدعي فيه أني أوفيت الموضوعات حقها من البحث والدراسة ،وإنما يبقى هذا البحث جهدا قبل كل شيء وتواصلا لبحوث لاحقة، ولن يتأتى ذلك إلا بجهد موصول من قبل الدارسين والباحثين في مجال الأدب العربي القديم شعره و نثره.

قسمت هذا العمل الى جزأين ،كان الجزء الأول مخصصا لبستان الشعر العربي القديم وقفت فيه على أطلال امرئ القيس وطرفة وتجولت في الحياة الجاهلية البدوية حيث الغزل تربى مع عنترة وعبلة، وتصعلك الشنفرى وعروة. ثم رحلت الى عصر النبوة لأجد البردة مع كعب بن زهير في مدحه لخير الأنام محمد رسول الله- صلّى اللّه عليه و سلّم- وهجرت لكن ليس هجرة النبي من مكة الى المدينة ،هجرت إلى فتن الأحزاب السياسية مع يزيد والحجاج ومعاوية .عشت فيها نقائض جرير والفرزدق ولم أر كلمات مثلها تحرق ،وصلت الى حب عذري مع بثينة وجميل وليلى وقيس ولم أر إلا ألما وحسرة ويأسا .وسافرت إلى الدولة العباسية حيث اللهو والترف والبذخ مع خمرية أبي نواس وزهد أبي العتاهية ،وعشت حضارة الأندلس من حب ابن زيدون لولادة وتشتت الشعر من موشح وزجل ولم يبق فيها شاعر بلا ريادة.

أما الجزء الثاني فقد تمحور حول النثر العربي القديم حيث تناثر النثر في كل اتجاه من خطب وأمثال وحكم وسرد ومقامات ورسالة ووصية ورحلة وتصوف نثري.

الشعر العربي القديم

المحاضرة الأولى:

الشعر في العصر الجاهلي

إن العصر الجاهلي يشمل كل ما سبق الإسلام من حقب وأزمنة، فهو يدل على الأطوار التاريخية للجزيرة العربية في عصورها القديمة قبل الميلاد وبعده، ولكن الباحث في الأدب الجاهلي لا يتسع في الزمن به هذا الاتساع إذ لا يتغلغل به إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية.[1] وهذا ما يدل عليه الجاحظ بوضوح إذ قال: "أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن أوّل من نهج سبيله وسهل الطريق إليه أمرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن أبي ربيعة. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام وهي ملاحظة دقيقة لأنّ ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول."[2]

فنقف بالعصر الجاهلي عند هذه الفترة المحدودة، أي عند مائة وخمسين عاما قبل الإسلام. وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى وقد وردت في الذكر الحكيم مصداقًا لقوله تعالى: "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى"[3]، وهو يخرج عن هذا العصر الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي واللغة العربية والذي تكامل فيه نشوء الخط العربي.

وينبغي أن يعرف أن كلمة الجاهلية" التي أطلقت على هذا العصر ليس مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، وإنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله عزّ وجلّ وما ينطوي فيها من سلوك خلقي كريم.[4]

ودارت الكلمة (الجاهلية) في الذكر الحكيم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب والعصبية.

ففي سورة البقرة "قالوا أتتخذنا هزؤًا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين"[5] وفي سورة الأعراف "خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين."[6] وفي سورة الفرقان: "عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلين قالوا سلاما"[7]

---

[1]- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 33، 1960، ص 380.

[2]- الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق كمال عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي، الجزء الأوّل، ط 2، 1384 هـ-1965م، ص 74.

[3]- سورة الأحزاب، الآية 33.

[4]- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 39.

[5]- السورة البقرة، الآية 67.

[6]- سورة الأعراف، الآية 199.

[7]- سورة الفرقان الآية 65.

وفي الحديث الشريف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر وقد عير رجلا بأمه "إنك أمرؤ فيك جاهلية"

وفي معلقة عمرو بن كلثوم الثغلبي يقول :

ألا لا يجهلن أحد علينا ***فنجهل فوق جهل لجاهلينا[8]

وأوضح أن هذه النصوص جميعًا أن الكلمة (الجاهلية) استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق. وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام.

كانت القبيلة في العصر الجاهلي تتألف من طبقات ثلاث أبناؤها وهو الذي يربط بينهم الدم والنسب وهم عمادها وقوامها والعبيد وهم رقيقها المجلوب من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة والموالي وهم عتقاؤها والخلعاء التي خلعتهم قبيلتهم وهم طائفة من الصعاليك المشهورة فيتخذون النهب والسلك وقطع الطريق.[9] منهم تأبط شرا ،السليك بن سلكة ،والشنفرى وعروة بن الورد.

مصادر الشعر الجاهلي:

أ- المعلّقات: وهي مشتقة من كلمة "العلق" بمعنى النفيس، ويقال أوّل من رواها مجموعة في ديوان خاص بها "حماد الرواية" وهي عنده سبع "أمرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى وطرفة بن العبد ولبيد بن يعمر وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلِّزة وعنترة بن شداد ونراها عند صاحب الجمهرة (القرشي) سبعًا غير أنه أسقط اثنين من رواية حماد الرواية هما الحارث بن حلّزة وعنترة وأثبت مكانها الأعشى والنابغة الذبياني.

أما التبريزي نجده يجعلها في شرحه عشرًا جامعًا بين الروايتين ومضيفا قصيدة عبيد بن الأبرص. وقيل سميت "بالمعلقات" ،لأن الناس علّقوها في أذهانهم أي حفظوها. ويقال أنها كتبت بماء الذهب وسميت "بالمذهبات" ،ويقال أيضا سميت بالمعلقات لأنها علقت على جدار الكعبة.

وللمعلقات قيمة أدبية لأنها تصور البيئة والحياة الجاهلية أوضح تصوير وأشمله ثم أنها تتميز بموضوعاتها المتنوعة وأسلوبها القوي، إضافة إلى أن أصحابها كانوا أهم شعراء الجاهلية.[10]

ب- المفَضَلِيَّات: نسبة إلى المفضّل الضَبِي راوي الكوفة الثقة ونشرها في مائة وستة وعشرون قصيدة أضيف إليها أربع قصائد وجدت في بعض النسخ ،حيث يقول ابن النديم: "هي مائة

---

[8]- أبي عبد الله حسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، اعتنى به وعلق عليه علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ- 2003م، ص 171.

[9]- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 67.

[10]-نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ج1، ط1، 2015، ص 20-21.

وثمانية وعشرون قصيدة وقد تزيد وتنقص وتتقدم القصائد وتتأخر بحسب الرواية عن المفضل والصحيحة التي رواها عند ابن الأعرابي.

ويزعم الأخفش أنها كانت ثمانين ألقاها المفضل على المهدي وزاد الأصمعي أربعين، ثم زاد البقية بعض تلامذته. وهي موزعة على سبعة وستون شاعرًا ،منهم سبعة وأربعون جاهليا وعلى رأسهم المرقشان الأكبر والأصغر والحارث بن حلِّزة وعلقمة بن عبدة والشنفرى وبشر بن أبي حازم وتأبط شرا وعوف بن عطية وأبو قيس بن الأسلت الأنصاري وبينهم امرأة من بني حنيفة ومجهول من اليهود ومسيحيات.[11]

ج- الأصمعيات: نسبة إلى الأصمعي راويها وقد بلغ عدد قصائدها اثنتين وتسعون وهي موزعة على واحد وسبعون شاعرًا،منهم نحو أربعون جاهليًا على رأسهم أمرؤ القيس والحارث بن عباد ودريد بن الصِّمة والأصبع العدواني وطرفة بن العبد وعروة بن الورد وقيس بن الخطيم ،وبينهم يهوديان من الشيعة بن الغريض والسموال.

- جمهرة أشعار العرب لأبي محمد بن أحمد بن أبي الخطاب القرشي: وهي تظم تسعًا وأربعون قصيدة طويلة موزعة على سبعة أقسام من كل قسم سبع قصائد.[12]

- القسم الأوّل خاص بالمعلقات: فقد أخذ فيها الرواية أنها سبع وأسقط منها معلقتي الحارث بن حلِّزة وعنترة بن شداد ووضع مكانهما الأعشى والنابغة.

- القسم الثاني المجمهرات: وهي لعبيد بن الأبرص وعدي بن زيد وبشر بن أبي حازم وأمية بن أبي الصلب وخداش ابن زهير والنمر بن تولب وعنترة.

- قسم المختارات والمنتقيات: وهي مختارات من الشعر الجاهلي والإسلامي موزعة على ثلاث أقسام أهم في القسم الأوّل الشنفرى، طرفة بن العبد ولقيط الأيادي والمتلمس.

أما القسم الثاني من دواوين زهير وبشر بن أبي خازم وعبيد الأبرص.

وأما القسم الثالث فمختارات الخطيئة في ديوانه.

وتدخل في هاته المختارات دواوين الحماسة لأبي تمام موزعة على عشرة أبواب وهي مقطوعات لجاهليين وإسلاميين وعباسيين.

وهناك حماسة البحتري:وهي مقطوعات موزعة على مائة وسبعون بابًا أغلبها من الشعر الجاهلي.[13]

---

[11]- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص 176-177.

[12]- نفس المرجع السابق، ص 177.

[13]- نفس المرجع السابق، ص 178-179

أغراض و موضوعات الشعر الجاهلي:

أ- **الغزل:** هو التغني بالجمال وإظهار الشوق إليه والشكوى من فراقه، وهو التشبيب بالحبيبة ووصفها عبر محاسنها ومفاتنها وهو نوعان: غزل عفيف (عذري) وغزل صريح (ماجن) .من مواضيعه الوصف والتشبيه والمدح والفخر حيث يقول كعب بن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ***متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا***إلا أغن غضيض الطرف مكحول

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ***لم يشتكي منها قصر ولا طول[14]

ب- الهجاء: وهو نقيض المدح يعبر عن سخط واشمئزاز شخصية ما أو قبيلة،فيذكر صفاتها الذميمة وخلقها وخِلقها ومن موضوعاته :الكره والحقد والتذمر والنقد....

يقول الحطيئة مهاجيًا نفسه:

أبت شفتاي اليوم إلاّ تكلمًا *** بشر فما أدرى لمن أنا قائله

أرى لي وجهًا سود الله خلقه *** وقبحٌ من وجه قبح حامله[15]

ج- الفخر: هو الاعتزاز بالفضائل التي يتحلى بها الشاعر أو القبيلة ،وبتعداد الصفات الكريمة لمن يفتخر به وتحسين السيئات منها وموضوعاته الشجاعة والكرم والمروءة والوفاء والحلم وعراقة الأصل وحماية الجار والنزيل...

وهو فخر ذاتي : أي يفتخر الشاعر بنفسه حاصرًا نفسه منه قول الشاعر عنترة ابن شداد:

يخبرك من شهد الوقيعة أنني *** أغشى الوغى وأعف عند المغنم[16]

وفخر جماعي: وهو يفتخر بالقبيلة والاعتزاز بها وذكر نسبها ومحاسنها وقوتها وجبروتها منها قول عمرو بن كلثوم لما قتل عمرو بن هند في معلقته:

إذا بلغ الفطام لنا صبى *** تخرُ له الجبابرة ساجدينا [17]

ك- المدح: وهو ذكر المحاسن ،وهو الثناء بذكر الجميل وإحسان الثناء على المرء بما له من صفات حسنة، وهذا قول النابغة الذبياني في مدح الملك النعمان بن المنذر:

وإنك شمس والملوك كواكب *** إذا طلعت لم يَبْدِ منهن كوكب

---

[14] – كعب بن زهير بن أبي سلمى – أبو المضرب – "الديوان" صنعه أبو سعيد السكري، شرحه مفيد قميحة ،دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1410 هـ- 1989م، ص 109.

[15]– الحطيئة ، الديوان ،الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط 2، 1414 هـ-1994م، ص184

[16]– الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 197.

[17]– نفسه، ص 180.

هـ- الرثاء: هو تعداد خصال الميت بما كان يتصف به من صفات كالكرم والشجاعة والعفة والعدل والعقل، وهو التفجع على الميت والتأسي والتعزي عليه، وهو ثلاث أقسام العزاء، والتأبين والندب. وهذا ما نجده في مرثية الخنساء لأخيها صخر:

أعيني جودا ولا تجمدا *** ألا تبكيان لصخر الندى؟

ألا تبكيان الجواد الجميل؟ *** ألا تبكيان الفتى السيدا؟

و- الحماسة: هي الافتخار بخوض المعارك والانتصارات في الحرب. فالحماسة تدخل في باب الفخر منها قول الشاعر عنترة بن شداد:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل *** مني وبيض الهند تقطر من دمي[18]

فوددت تقبيل السيوف لأنها *** لمعت كبارق ثغرك المتبسم

خصائص ومميزات الشعر الجاهلي:

- أغلبية القصائد القديمة تقف على الأطلال والبكاء عليها لطبيعة حياتهم القائمة على الترحال والانتقال من مكان إلى آخر وطبيعة العربي يحن إلى ماضيه. حيث أوّل من وقف على الأطلال ابن خدام على قول الشاعر أمرؤ القيس:

عوجًا على الطلل ألمحيلي لعلنا ***نبكي الديار كما بكى ابن خدام

- الاعتماد على الوصف وكثرة التشبيهات.
- الدقة والمتانة في الأسلوب.
- تصوير الشاعر حياته وأمانيه ومطامحه ولذاته ولهوه.
- الصدق في التعبير بالرغم من أنه كان فيه مبالغة أحيانًا.
- تصوير الحياة البدوية الصحراوية والحياة الجاهلية ووصفها.
- تكرار الصور والمعاني.
- كثرة الألفاظ الغريبة والوحشية المستمدة من البيئة البدوية الجافة ووحدة البيت وقوة اللفظ.
- البساطة في التعبير.
-الإطالة، كان يعمد الشاعر أن يكون طويل النفس.
- قلة المحسنات وألوان التزيين والزخرف البديعي.
- جزالة الأسلوب والجمال والصدق والتنقل في الخيال.
- وحدة البحر والقافية وحرف الروي للقصيدة الواحدة.

---

[18]– الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص 197.

المحاضرة الثانية:

شعر الصعاليك في العصر الجاهلي

إن الصعلوك في اللغة هو الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة[19]. أما في الجاهلية أخذت الصعلكة دلالة أخرى. فقد أخذت تدل على من يتجردون للغارات وقطع الطرق.[20]

والصعاليك: هم جماعة من الفقراء اللصوص خرجوا عن طاعة رؤساء قبائلهم ولم يخضعوا للأعراف التي في القبيلة، بل تمردوا عليها ولم يتقيدوا بالتزام القبيلة أو مخالفة قبائل أخرى ويُغيرونَ على البدو والحضّر. ويقطعون الطريق ويسلبون. وكانوا يقولون الشعر الذي يصور أحوالهم، وقد يجتمعون معًا في بعض الأحيان في غزو بعض القبائل.

ولهم عدّة أسماء منها : اللصوص، فُتاك، شياطين، شطار، ذؤبان (ذئاب) [21]

أنواع الصعاليك:

أ- **أغربة العرب:** وهم أبناء الحبشيات السود من الإماء .كان البعض من العرب ينفون من إلحاقهم بنسبهم وينبذونهم فكانوا يتمردون على ذويهم ويخرجون إلى الصحراء، كما فعل السليك بن السلكة والشنفرى وتأبط شرا.

ب- **الخلعاء:** هم جماعة خرجوا على عادات وتقاليد القبيلة وتمردوا على أعرافها وقد تخلت عنهم قبائلهم لما ارتكبوه من جرائم وحماقات،وهؤلاء كانت تخلعهم قبائلهم مثل حاجز الأزدي وقيس بن الحدادية الجزاعي.

ج- **المحترفون:** هم فئة احترفت الصعلكة احترافًا وهذه الطائفة كانت تظم أجزاءًا وقبائل مثل عروة بن الورد العبسي وقبيلتي فهم وهذيل التي كانتا تنزلان بالقرب من الطائف ومكة.[22]

أسبابها:

أ- **عدم وجود دولة جامعة:** أي غير مسيطرة للقانون، وضعف سلطتها ،أي لم يكن لديهم أعراف بسبب ضعف الدولة وسلطانها.

وعدم وجود قوة حيوية متحركة تسيطر على الأمة،بأنهم مرتبطون بهذه القوة وخاضعون لها خضوعًا يؤخذ في سلوكاتهم.

---

[19]– محمد بن يعقوب الفيروز أبادي مجد الدين ،"القاموس المحيط"، تحقق محمد نعيم العرسوقي ،مؤسسة الرسالة ، ط8، 1426 هـ-2005م، ص 312.

[20]– عبد الحكيم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، 1987، ص 17.

[21]– نفسه، ص 20.

[22]– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 33، 2013، ص 375.

ب- زعامات غير متزنة: إن عدم وجود هذه السلطة ترتب عليه أمورا أخرى ساهمت في الصعلكة وفي المجتمع الجاهلي. وكانت هذه الزعامات تتمثل في رؤساء القبائل والعشائر،وتتمثل في قوّة الشخصية للزعيم في قبيلة وضعفها لدى قبيلة أخرى.[23] لذلك نجد هناك حرية في غياب القانون الذي يفرضه على المجتمع مما يؤدي إلى خروج الصعاليك من هاته القبلية بسبب جباروت زعيمها.

ج- عدم التوازن بين الفقير والغني: أدى هذا إلى ظهور صعلكة الشعراء وهناك تظهر شخصية عروة بن الورد وأبا الصعاليك"، و"عروة الصعاليك" احترف الصعلكة لينصر الضعفاء المقهورين من الأقوياء المستغلبين،ويحسن للفقراء من كرمه ونهبه للتجار وأصحاب المال. فيقول مخاطبا إمرأته على الغني والفقير:

ذِعّيني للغنى أسعي فإني *** رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم *** وإن أمسي له كرم وخير
يساعده القريب وتزدريه ***حليلته وينهره الصغير
ويَلقى ذو الغنى وله جلال ***يكاد فؤاده وصاحبه يطير[24]

ويقول الصعلوك السليك بن سلكة لما يأخذه الجوع والفقر في فصل الصيف ويأخذه الدوران الذي تكثر فيه ألبان الناقة.

وحتى رأيت الجوع بالصيف ضرني ***إذا قمت تغشاني ظلال فأسدف

د-طبيعة الأرض والحياة: إن نواحي البيئة نفسها غير متفقة في خصبها ووجودها بالخيرات. فشمال الجزيرة العربية ليس كجنوبها،فشمالها مزدهرة مثل سبأ. والطائف التي أتى لها رسول صلى اله عليه وسلم إثر أزمة لجأ إلى ثقيف وتم إيذائه إياه،وكذلك نجد يثرب (المدينة) منها نجد اليمامة فكلها كانت مناطق خصبة عكس جنوبها التي تمتاز بالقحط والقسوة عن طبيعتها،وهي تساعد على الاختفاء حينما يطلبون الخفية لطابعها الجبلي الصحراوي،ويرى ابن خلدون في قوله: "وذلك أن بطبيعة التوحش الذي فيهم، أهل بيئة قاسية عنيفة يسودها الشدة وانتهاب وعبث و ينتهون ما قدرو عليه من غير مغالبه و لا ركوب خطر ويفرون إلى منتجعهم بالفقر"[25]

ويصف لنا الشنفرى ليلة اشتداد البرد حتى أن صاحب القوس ليضطر إلى تحطيم قوسه التي تقوم عليها حياته ليستدفئ بها وبأدواتها فيقول:

---

[23]– عبد الحليم حنفي ، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ص 53.

[24]– عروة بن الورد. ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د ط 1998، ص 79.

[25]– عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، المكتبة المصرية، القاهرة، دط–د ت، ص 141.

وليلة نحسٍ يَصْطَلي القوس رَبَهَا *** وأقطعه اللائي بها يتنبل[26]

ويصف لنا مرة أخرى الشنفرى الحر الشديد حتى الأفاعي لم تحتمل العيش في الصحراء بإعتبارها موطنها فيقول:

ويوم من الشِعري يَذُوبُ لَوابه ***أفاعيه في رمضائه تَتَململ[27]

هـ- الحروب والثورات: ما يعرض في حياة الجماعات والأمم تتميز بأنها محدودة يؤدي إلى انتشار الأخذ بالثأر مثل ما حصل في حرب الباسوس بين قبيلة بكر وثغلب.

وهذا ما وقع مع الشنفرى الذي أقسم أن يقتل مائة من العدو،ومن قبيلة بني سلامان من قبيلة أزد الأردنية وهذا انتقاما لمقتل أبيه من طرف هذه القبيلة. لكنه توفى في الضحية التاسع والتسعون ويقال بأن المائة أنه راعي كان يرعى وسقط على جمجمة الشنفرى فأردته قتيلاً، لأن لما ألقي القبض عليه قتل وترك في الصحراء للضباع والسباع.

و- التجارة: فكانت هناك الأسواق التجارية حوالي 13 سوقًا فهناك انتشرت الصعلكة،فكان من أصحاب المال يجيزون الصعاليك في رحلتهم حتى لا يتعرض لهم أدى ويذهبون معهم لتوفير الحماية لهم من أعداء.وهاهو السليك بن سلكة الذي أعطى له الملك بن المولیك الخشعمي بعض من غنائمه على أن يجيزه فيتجاوز (خشعهم) إلى ما وراء من أهل اليمن. كذلك كانت هناك رحلتان لقريش رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، حيث كانت تتعرض هاتين الرحلتين لقطاع من الصعاليك وهنا يقول الأحيمر السعدي أحد الصعاليك يجعل سيفه قاهرًا على أموال التجار فيقول:

تَعِيرُني الأقدام والبدر معرض ***وسيفي بأموال التجار زعيم[28]

ونجد أيضا الرحلة نحو الحج إلى الكعبة لعبادة الأصنام ،حيث كانوا هنا ينهب الصعاليك كل أمتعتهم ويسرقون أموالهم...

الخصائص الفنية لشعراء الصعاليك:

- التخلي عن المقدمة الطللية مثل لامية الشنفرى.
- تميز شعرهم بالوحدة الموضوعية.
- خلو قصائدهم من الغزل الذي عُهد في الشعر الجاهلي،حيث كان الإكثار من توجيه الخطاب في شعرهم لزوجاتهم لا التغزل بهم.
- أغلب شعرهم مقطوعات لا قصائد مطولة.

---

[26]– عمرو بن مالك، ديوان الشنفرى، تحقيق وجمع وشرح الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب للحربي، بيروت، ط2،دت– ص 69.

[27]– نفسه ص 71.

[28]– عبد الحليم حنفي، شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ص 67.

- الصدق في التعبير والاعتماد على الواقعية.
- عدم الاهتمام بالصنعة اللفظية والتنميق.
- النزوع إلى أسلوب القصة غالبا.
- صيحات الفقر والجوع والحرمان في شعرهم.
- امتازت قصائدهم بالشجاعة والصبر والثورة على الأغنياء والأشحاء والبأس.
- شيوع الألفاظ العربية وأشعارهم التي تولد على طبيعة الحياة القاسية (أسي.باسي....)
- اتسمت لغتهم الشعرية بالترفع والسمو والشعور بالكرامة في الحياة وهذا خداش الهزلي يقول:

وإني لأثوى الجوع حتى يَمِلني ***فيذهب لِمَ يدنس ثيابي ولا جرمي

إن شعر الصعاليك أشبه ما يكون بالمذكرات الشخصية التي يدون الشخص فيها أفكاره ومشاعره وما يحسه حوله في موقف من المواقف، وموقف الصعاليك هو الصعلكة بما يلابسها من أسباب تدفع إليها كالفقر والحاجة ومخاطر يتعرضون لها في مزاولة الصعلكة من أعداء ووحوش ومتاعب.

المحاضرة الثالثة:

الشعر في صدر الإسلام

ينتهي العصر الجاهلي بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة سنة 622م لتكون هاته السنة بداية العصر الإسلامي، وينتهي بمقتل الإمام علي بن أبي طالب سنة 40هـ/661م بعد أن طعنه عبد الرحمن بن ملجم.

أتى الإسلام وحرر العرب من العصبية القبلية ودعا إلى مكارم الأخلاق والعبادات من زكاة وصلاة وصوم... وأحسن لهم حسن معاملاتهم فحدد الحقوق والواجبات حيث أعطى للمرأة حقوقها وذكرها بواجباتها وثمن دورها في المجتمع بعد ما كانت في الجاهلية لا تتمتع به، فأصبح لها حرية ويحقق لها اختيار الزوج ومشاركة الزوج على أعباء الحياة ووضع لها الميراث.[29] وفكّها من العبودية.

وحرم الخمرة التي كانت في العصر الجاهلية لها قيمة والافتخار باحتسائها وتقديمها للضيوف، حيث مر تحريمها على ثلاث مراحل وطبقات من القرآن الكريم. وكذلك القمّار كان له نفس الخمرة في تحريمه كما حرم الأخذ بالثأر ووضع له قصاصًا .

وبذلك يكون الإسلام قد أحدث انقلابا شاملاً على المجتمع الجاهلي وأسس مجتمع جديد يختلف جذريًا في عقائده وقيمه وأعرافه ومواصفاته وممارساته من المجتمع السابق[30]

موقف الإسلام من الشعر:

لقد صنف القرآن الحكيم شعر الشعراء إلى شعراء مؤمنون لم يخرجوا عن حدود التعاليم الإسلامية. وشعراء ضالون بما قالوا من شعر هجين غير أنه وبالرغم من نبذ الإسلام لشعر هؤلاء فإنه بقى متسامحًا معهم لأنهم يقولون ما لا يفعلون وثمة فرق بين القول والفعل.

وكل هذا تدلها الآية الكريمة من سورة الشعراء "والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم ترى أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون ،إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"[31].

أما موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء كان له موقفان حيث اعتبر الشعراء أداة هجينة كشرب الخمريات والغزل الفاحش والهجاء المقذع الذي يمس كرامة الغير،وخاصة ذلك الهجاء الصادر عن المشركين ضد المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم

---

[29]- نور الدين مهري، النص الأدبي القديم، ص 44.

[30]- نفسه الصفحة نفسها.

[31]- السورة الشعراء، ص 227.

الذي يمس أعراضهم وعقيدتهم قال: "لإن يمتلأ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلأ شعرًا"[32] وأيضا قوله: "من قال في الإسلام شعرا مقذعًا فلسانه هدر"

أما الموقف الذي يحمل القيم والأخلاق الحسنة التي يتعارض مع التعاليم والمبادئ الإسلامية. وخاصة ذلك الذي يدافع عن الإسلام والمسلمين فكان الرسول (ص) يستمع كثيرا لشعر حسان بن ثابت ويحثه عن هجاء المشركين لهجائهم للعقيدة الإسلامية. حيث قال: "هاجوهم وجبريل معك " وأنه كذلك سمع لكعب بن زهير لما قام بمدحه في قصيدة "البردة" ،وأعجب بشعر لبيد بن ربيعة وأحب شعر عنترة بن شداد فقال فيه :"ما وصف لي إعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة"

والخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أحب شعر زهير بن أبي سلمى فقال فيه:" لأنه كان لا يعاضل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر ولم يمدح أحدًا إلا بما فيه"[33] .فهو سهل العبارة لا تعقيد في تراكيبه ولا وحشي في ألفاضه ومعانيه، بعيدة الغلو والإفراط في الثناء الكاذب فهو لا يمدح الرجل إلا بما فيه من فضائل .وشعر زهير يكمن في أنه حسن العبارة والمعاني وجميل الصياغة.

وكذلك لعمر موقف آخر في الشعر الذي فيه هجاء ومعاقبة أصحابه عليه فلأن هذا اللون ينال من أخلاق المهجو ويشوه صورته ويحط من مروءته وعرضه،فهو نوع من القذف يرفضه الإسلام ويعاقب عليه.

الأغراض الشعرية في صدر الإسلام:

1- **الغزل:** إن مجيئ الإسلام دعى إلى نبذ الغزل الماجن وأبقى عن الغزل الطاهر العفيف عكس ما كان في الجاهلية الذي كان منتشرًا فيه الماجن (الصريح) ،حيث نهى النبي (ص) التشبب بالنساء والتجريح في جسدها وذكر مفاتنها وعوراتها ووصف أطرافها بوصف يخدش الحياء.

لكن لم يأخذ الغزل نصيبًا وافرًا إلا ما نذر،وما ذكر في مطالع قصائد الشهداء المسلمين مثل ما قاله الشاعر كعب بن زهير في قصيدته "البردة"مادحا الرسول (ص) بعدما وقف على الأطلال وبكى واستبكى عن فراق محبوبته:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *** متيم إثرها لم يفد مكبول

2- **الهجاء:** كان الهجاء في هذا العصر يتميز بذم المشركين والسخرية منهم بعدم إيمانهم بالإسلام واتباعهم سنة الرسول الكريم –ص- واتباعهم عبادة الأوثان والأصنام. إلا أنه بالمقابل هناك شعراء نالوا من المسلمين أعابوا عليهم ترك ما عبد أباؤهم وكذلك من تجرأ وهجا النبي

---

[32]– صحيح البخاري فتح الباري، دار الريان للتراث د.ب، د. ط، 1407ه/ 1586م، ص 564.

[33]– شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط 6، 1963، ص 96.

(ص) ونبذ الإسلام الهجاء؛هجاء الأشخاص من هجاء مقذع وهذا ما حدث مع الحطيئة الذي هجا الزبرقان بن بدر ويقول:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ***وأقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[34]

فشكى الزبرقان الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ، فقام بسجنه واستعطفه الحطيئة في أبيات كان مطلعها:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ *** زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ *** فاغفر عليك سلام الله يا عمر[35]

ففك أسره الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- وتوعده ألا يعود لمثل هذا الهجاء المقذع الذي يمس كرامة الإنسان.

وكذلك كان هناك هجاء المسلمين للمشركين ردًا عليهم لما هجوا النبي (ص) وها هو حسان بن ثابت يهجوا ردًا على أبي سفيان بن الحارث فيقول:

هجوت محمدا فأجبت عنه *** وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء *** فشركما لخير كما الفداء[36]

3- الرثاء: لقد كثرت الحروب والغزوات بين الكفار والمسلمين فكثر القتل والموت من كلا الطرفين واقتصر الرثاء في هذا العصر على رثاء المسلمين وشهدائهم في سبيل الله والدعاء لهم بأن مثواهم الجنة، كما امتازت عاطفة الشاعرة اتجاه المرثي بحرارة على فراق الحياة، وكثرت قصائد المراثي النبوية بعد موت النبي (ص) وهذا ما ذكره حسان بن ثابت:

فبوركت يا قبر الرسول بوركت *** بلاد ثوى فيها الرشيد المسددُ.[37]

وما فقد الماضون مثل محمد *** ولا مثله حتى القيامة يفقدُ

وكذلك نجد أبى سفيان بن الحارث في رثائه للنبي (ص) بعد دخوله الإسلام:

لقد عظمت مصيبتنا وجلت *** عشية قيل: قُبض الرسول

نبيّ كان يجلو الشك عنّا *** لما يوحي إليه وما يقول[38]

4- الفخر: إن المعارك التي قامت بين الكفار والمسلمين والغزوات الكثيرة أظهروا فيها المسلمون بطولات وشجاعة،وحث القرآن الكريم المسلمين على المشاركة في الحروب. وكان

---

[34]– الحطيئة، الديوان ، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1426 هـ-2005م، ص 183.

[35]– نفسه، ص 89

[36]– حسان بن ثابت، الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1414 هـ- 1994م، ص 195.

[37]– نفسه ، ص 60.

[38]–أبو سفيان بن الحارث، الديوان، تحقيق فاروق أسليم بن أحمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص 47.

الافتخار بالانتصارات وكذلك الفتوحات التي كانوا يقومون بها فيقول كعب بن زهير في فخره بانتصار المؤمنين في غزوة بدر على الكفار:

ويوم بدركم لنا مدد *** فيه مع النصر مكيال وجبريل.[39]

5- <u>المدح:</u> بعد أن كان المدح في العصر الجاهلي يتناول أشخاصًا كثيرين والأسباب عديدة و مختلفة منها المدح ألتكسبي الذي كان مدحًا للملوك وأصبح في العصر الإسلامي المدح مقتصرًا عن مدح النبي "ص" على الأكثر منها مدح كعب بن زهير للنبي (ص) في قصيدة البردة يقول:

إن الرسول لنور يستضاء به *** مهند من سيوف الله مسلول[40]

ومدح كذلك حسان بن ثابت النبي (ص) :

نبي أتانا بعد يأس وفترة *** من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجً ا مستنيرًا وهاديًا *** يلوح كما لاح الصقيل المهند[41]

<u>خصائص الشعر في صدر الإسلام:</u>

- شعر لغته من لغة القرآن.
- اختصت معاني الشعر بالمديح بفضائل النفس الإنسانية والعدل والشجاعة والرفعة ونصرة الإسلام دين الحق.
- اعتدال طول القصيدة وارتباطها بالتجربة الشعورية.
- أسلوب خالي من التكلف بعيدا عن الصنعة يقوم على التشخيص والتشبيه والاستعارة والكناية والمقابلة.
- أوشكت الوحدة الموضوعية أن تسود الشعر الإسلامي كله.
- أبرز مطالع قصائدهم رموزا للحياة الدنيا والنصر وصلة الرحم والجهاد والكرم ووصف الرحلة والضغائن وجمع القبيلة والوحدة والتوحد.
- تصوير الحياة والإنسان والطبيعة.
- عمق إحساس شعرائه واستقلاليتهم في التعبير.
- هيكل القصيدة ووحدتها كانت فواتح إسلامية للقصائد فشملت في تسبيح الله والدعاء والمناجاة والترحم في الشهداء والحِكم الإسلامية الخالصة والتوبة وحمد الله وشكره.
- ختم قصائدهم بأبيات على صيغة المثل في سهولة إيقاعه أو بجواب على السؤال كان للشاعر.
- إبراز العاطفة التي تضمنتها تجربة للشاعر.

---

[39]– ديوان كعب بن زهير، 113.

[40]– ديوان كعب بن زهير، ص 115.

[41]– ديوان حسان بن ثابت، ص 196.

نخلص في الأخير إلى مدى قوة وضعف الشعر في عصر صدر الإسلام لنقف على رأيين: فالرأي الأول الذي نادى بضعف وقلة الشعر في هذا العصر بسبب تشاغل العرب بالقرآن الكريم وتفسيره وكذلك بتدوين الأحاديث النبوية الشريفة وتشاغلوا أيضا بالجهاد وغزو بلاد فارس والروم، وجاءت الفتوحات وأدت إلى هلاك العديد من الشعراء والمدونين للشعر والرواة له. وأيضا قلة الأغراض الشعرية التي نهي عنها النبي (ص) منها :الغزل الماجن والهجاء والخمرة ، أما الرأي الثاني يرى بأن الشعر في هذا العصر تطور وازدهر بتطور الأغراض الشعرية فظهر المديح النبوي والمراثي النبوية وشعر الفتوحات وشعر التهاجي بين المسلمين والمشركين وشعر الدفاع عن الرسول (ص) ونصرة دين الحق وشعر الزهد والتصوف والورع.